9me Année No. 405

Lundi - 7 - 4 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ ص في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٧ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

٤٩٣ عود إلى الفكر و« السلطة » : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٤٩٦ نساؤنا بين التقاليد والتجديد : الدكتور منصور فهمي بك ...

٤٩٩ الأندية العربية في العراق : الدكتور زكي مبارك ... ...

٥٠٣ في القصد ... ... : لأستاذ جليل ... ...

٥٠٦ يكفي التراث الشرقي لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٥٠٩ الغناء والموسيقى وحالهما في مصر والشرق ... ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

٥١٣ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...

٥١٤ ميلاد نبي ... [قصيدة] : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

٥١٥ دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان ... ... : الدكتور محمد محمود غالي ...

٥١٦ تعقيب على مقال ... ... : الأستاذ (ا. ع) ... ...

٥١٧ نصيب السودان من جهاد الديمقراطية ... ... : الأديب عبدالله عبد الرحمن ...

٥١٧ جريدة الاصلاح في عامها الخامس : ... ...

٥١٨ « مكتوب على الجبين » للأستاذ محمود تيمور ... : الأديب طه عبد الحميد الكيمي

٥١٨ المذياع ... ... [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

عود إلى الفكر و« السلطة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

راجعني الأديب إلياس إبراهيم بدوي فيما كتبت بالرسالة منذ أسابيع عن « الفكر والسلطة » ، وكتب إليّ يقول :

« اسمح لي بأن أضيف إلى الأسباب الأربعة التي ذكرتها في إيضاح الدافع إلى طلب السلطة سبباً خامساً ، وإن لم يكن بسبب ، فهناك أناس يطلبون السلطة كحق من حقوقهم الموروثة أو تقليد من تقاليد الأسرة التي لا يليق بهم التخلي عنها . ولعل هذا السبب أبرز الأسباب نتائج من حيث طلب السلطة ، ليس في هذا البلد وحده ، بل في جميع البلدان بوجه عام »

وأتبع ما تقدم بقوله : « وكان لا بد أن ينشأ عن هذا السبب سبب سادس معاكس له : سبب يدفع بالرجل الموهوب ذي الشخصية العارمة والإرادة المدربة إلى النظر إلى مثل أولئك الأفراد المنهافتين على السلطة نظرة متعالية ، نظرة من يعتقد مخلصاً أنه أحق بها منهم إذا كانت الغاية من الحصول على السلطة استخدامها في بناء مجد للوطن . وإن مثل هذا الرجل ليعتبر في رأيي خائناً لرسالة ممتازة خلق لها إذا لم يعمل على نيل الأداة التي يمكنه بها إبراز مواهبه وممكناته وقدرته على الخلق والإبداع . وما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته »

ثم يقول الأديب : « أما صاحبنا « ديزرائيلي » ، فلم أذكر اسمه نموذجاً ، بل ذكرته عرضاً كرجل كانت له نفسية الأديب ودقة إحساسه بالحياة ، ووفق إلى كشف عناصر القوة فى نفسه فسخرها فى سبيل بلوغ المنصب الأعلى للحكم ... وربما كان فى التاريخ الأمريكى والبريطانى والفرنسى كثير ممن يصح أن يتخذوا أمثالاً . وربما كان عندنا هنا من يصح أن يذكر فى معرض التمثيل . غير أن عدم وجود أمثال لا يمنع من خلق أمثال وابتداع خطط جديدة فى الحياة والعمل »

ثم يقول فى ختام خطابه : « فإذا كنت تعتقد أنه لا يمكن الجمع بين الأدب والإدارة فهذا رأيك وأنت حر فيما ترى . ولئن كنت أشك فى صحة هذا الاعتقاد فما يعزز شكى ما قرأته لك فى رجعة أبى العلاء فى معرض كلامك عما كان يساور أبا العلاء من طموح إلى السلطان لولا ظروفه الجسمية الخاصة التى حالت بين عقله الكبير وما أراد . وهو القائل :

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عنى خفسته »

* * *

ويلوح من خطاب الأديب أن صاحبه ممن يحبون الاستدراك لمحض الاستدراك ، وهو طبع فى غير قليل من الناس

فنحن نقول إن أسباب طلب السلطة هى فطرة الرياسة ، أو حب الامتياز ، أو اتقاء شرور المسيطرين ، أو الرغبة فى تسخير الأداء الحكومية للإصلاح ، فيأتى صاحب الخطاب بسبب خامس هو ميراث السلطة عن الآباء والحرص على بقائها فى الأسرة ! كأنما هذا السبب لا ينتهى إلى واحد من الأسباب الأربعة التى قدمناها ! أو كأننا حين نقول إن الناس يرثون البيوت ننفى أن البيوت تبنى للسكنى ، أو كأننا حين نسلم أن الناس يصنعون الطعام ليبيعوه ننفى أن نهاية الطعام هى الغذاء سواء صنع فى الأسواق أو صنع فى الدور

فالناس لا يحبون أن يرثوا السلطة إلا لأنها تكفل لهم غرضاً من الأغراض التى قدمناها . وإلا فما بالهم لا يحرصون على وراثة المسكنة من آبائهم المساكين ؟ وما بالهم لا يحتفظون فى الأسرة بالديون وللغارم والوصمات ؟

إنما يحرصون على بقاء السلطة فى ميراثهم لأنها مطلب محبوب ، وإنما هى مطلب محبوب للأسباب التى قدمناها لا لأنها تركة موروثة عن الآباء

أما أن المفكر النابغ مفروض عليه طلب السلطان ، فهذا خلاف للواقع ، وخلاف للقياس المطرد فى « تطور » الملكات .

فى الواقع لم يوجد قط مفكر موهوب وعبقرى مثمر فى عالم الفنون تخلى عن الفكر والفن ليطمح إلى الحكم وإدارة الدواوين

وقبل أن يوجه إلينا الأديب خطابه الأول كنا نكتب « هتلر فى الميزان » فقلنا من فصل عن كفاءته الذهنية : « إن الحقيقة الراسخة من وراء كل جدل وكل مراء هى أن الفنان الموهوب لن يترك فنه ليعقد مصيره بالسياسة وغيرها من المطالب كائناً ما كان نصيبه منها ، لأن الهبة الفنية كالوظيفة العضوية التى لا تقبل الإهمال ، ولا تزال فى إلحاحها على صاحبها كالهيام القلبى فى إلحاحه على العاشق المتلهف بالحياة ، فلا هو بمنفل عنها ولا هى تمهله إلى زمن طويل

« وهذه الحقيقة وحدها بمنجوة عن جميع الأقاويل وجميع الأسانيد . هى الحكم الحاسم فى كفاءة هتلر الفنية ، أو فيما يدعيه من مواهب التصوير والبناء . فهى لن تعدو الطبقة الوسطى بحال ، ولن تتجاوز نصاب التذوق الشائع بين مصطنعى النقد والموازنة فى الفنون »

فهذا رأى قديم لنا نبنيه على الواقع كما نبنيه على المعقول ، لأن التاريخ لم يذكر لنا قط اسماً واحداً من أسماء العباقرة الفنيين طلق الفن ليحكم الناس ويطلب السلطة . وليس بمعقول أن تمنعه السلطة كما يمنعه الخلق فى عالم الفن الذى يصرفه تكوينه إليه .

وهذا الرأى مطابق لسنة التطور التى تنتقل من الجمع إلى التوزيع ، من حصر الملكات إلى انتشارها فى عقول كثيرة .

فاتفق فى زمن من أزمان الهمجية أن حاكم القبيلة كان حكيمها وساحرها وكاهنها وطبيبها وحافظ تاريخها . فهو فيها جامع لوظيفة السياسة ووظيفة الدين ووظيفة العلم ووظيفة الفن والثقافة ، ثم انقضى هذا العهد وتوزعت الملكات وأصبحت كل وظيفة من هذه الوظائف شعباً لا تحصى ومقدرة يستعصى الجمع بينها وبين غيرها ، ولا يؤدى هذا الجمع إلى مصلحة للنابغ ولا للمنتفعين بنبوغه

وبعد هذه الدهور المتطاولة يأتى من يزعم أن إعراض المفكرين وعباقرة الفن عن طلب الحكم خيانة لأمانة النبوغ إذا كانوا يستخدمون السلطة فى بناء مجد الوطن ... ويسأل :

ما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته ؟

فما قيمة الحياة نفسها بغير متعة فكرية أو ذوقية ؟ وما قيمة مجد الوطن إذا خلا من المفكرين والمبافرة الذين يعيشون ويموتون للفكر ، ويعيشون ويموتون لمتاع الأذهان والأذواق ؟ أكل مجد الوطن إذن فى رفع الأيدى بالسلام ، ودق الأرض بالأقدام ، وخطوة إلى الوراء وخطوة إلى الأمام ، وتفرّج على السلطة ومواكب السلطة أيام الزحام ؟

أهذا هو مجد الوطن الذى يخونه أمناء الفكر والذوق لأنهم لا يتطلعون إلى السلطة ولا يتحولون جميعاً إليها كلما وفر عندهم نصيب الفكر والذوق ؟

إن كان الأديب يخال أن المفكر الصادق التفكير لن يشعر بالامتياز إلا وهو متسلط فى الحكومة ، ولن يقعد عن طلب التسلط فى الحكومة إلا لأنه عاجز عنه ، فهو بعيد كل البعد عن دخائل العظمة الفكرية التى هى عظمة لا شك فيها وإن لم يكن لها فى الحكم سلطان

لكنّ العجب فى هذا أن الزهو بالعقول شائع بين جمهرة الناس ، فكيف يفوت الأديب صاحب الخطاب أن يفطن إلى زهو العقول العالية التى تشعر بما لها من الرجحان ؟

يقولون فى أمثالنا الدارجة إن الخلق غضبوا عند قسمة الأرزاق فأرضاهم القدر بقسمة العقول ، فما منهم إلا راض عن عقله وإن سخف وإن ضاق

وتعليل ذلك قريب ، فإن الأرزاق تنتقل من مالك إلى مالك، فللطمع فيها معنى مفهوم ؛ أما العقول فلا تنتقل من أصحابها إلى غير أصحابها ، فليس للطمع فيها معنى غير الإقرار بالقصور ، والحرمان من لذة الغرور

ومنزى المثل كما يقولون أن رضى الإنسان بعقله سهل مألوف فى جميع الطبائع البشرية ، فكيف بالعقل الذى يعلم ما عنده وما عند غيره علماً ليس بالدعوى ولا بالغرور ؟ أليس خليقاً بامتيازه المرضىّ عنه أن يغنيه عن طلب الامتياز من طريق ولاية الأحكام ؟

قلنا فى كتابنا رجعة أبى العلاء : « إن أبا العلاء كان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو بالإعراض عنها . فإما الملك وإما الرهبانية ولا توسط عنده بين الأمرين . فلا يحسبن أحد أن فكرة الملك عارضة فى ذهنه كما يعرض الخاطر فى خلد الشاعر ، فإن للمجد الدنيوى لنزعة مكبوتة فى قرارة ضميره يدل عليها شعره ونثره ، ولا تزال غالبة عليه فى جنبات الأهواء وفلتات اللسان . فسرعان ما يثب إليها كلما عرضت لها لمحة ظهور »

وقد ظن الأديب صاحب الخطاب أن ما قررناه هنالك شذوذ مما نقرره فى كلامنا عن الفكر والسلطة ، وما به فى الحقيقة من شذوذ ؛ فالحنين إلى السيطرة فى نفس أبى العلاء إنما هو تعبير عن جانب الحرمان من تلك النفس وليس بالتعبير عن جانب الامتياز والرجحان

وليس الوجه كما فهم الأديب أن أبا العلاء كان يزداد طلباً للسلطان لو أبصر وملك القوة الجسدية ، ولكنّ الوجه أنه كان يقلع عن هذا الطلب لو زال عنه شعور الحرمان الذى داخله من كبريائه مع فقد بصره ووهن جسده . فيغلب عليه جانب الثقة والامتياز

وأى عجب فى تداخل النزعات واشتباكها فى جميع النفوس الآدمية ؟ ألا يوجد بين ذوى السلطان من يحب أن يشتهر بالكتابة فينتحل ما يكتبه له الكاتبون وليس هو بأديب ؟ أفمن أجل ذلك نقول إن الملكة الأدبية لاصقة بكل حاكم وكل أمير وكل طامع فى الشهرة بالمنثور والمنظوم ؟

ومن الخطأ أن نزعم أن أبا العلاء قد عكف على التفكير لأنه لم يظفر بالملك والإمارة ؛ فإن التفكير ليس بالمنحة « الاحتياطية » التى تجود بها الطبيعة على من فاتته المنح الأخرى ، ولكنها منحة أصيلة من رزقها فكر ومن لم يرزقها لم يفكر وإن أراد . وغاية ما هنالك أن المفكر المتكبر المحروم يمثل حرمانه فى آماله ودخائل وجدانه شوقاً إلى النبلة والبأس والولاية ، وهو شوق لا يعد من الملكات ولا من النزعات التى يقاس عليها فى غير هذه الحال

وجملة الرأى أن حاجة الحاكم إلى الفكر كحاجة كل عامل إليه ، فلا يلزم من ذلك أن يشتغل المفكرون بجميع الأعمال لأن جميع الأعمال تحتاج إلى تفكير

على أن الحكم إلزام والفكر إقناع ، وإذا بلغ الإقناع مداه ألزم الحاكمين أن يستمعوا له فكان سلطة فوق السلطة فى هذا المقام

عباس محمود العقاد